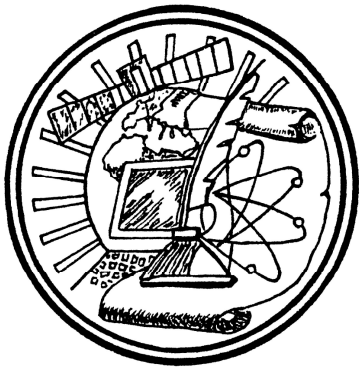

الناقدة ما بعد الكولونيالية غياتري سبيفاك: التفكيكية تتحدث فقط ضمن لغة الشيء الذي تنتقده !...

أجرى الحديث: جوشان ري وبيتر أزبورن ترجمة: أزراج عمر

تصنف الناقدة والمفكرة الهندية الأصلية غياتري سبيفاك كواحدة من أبرز الأصوات الأساسية في مجال النقد الثقافي مابعد الكولونيالي. وبعبارة أكثر دقة ووضوحا، فإن سبيفاك تعد من مؤسسي نظرية مابعد الكولونيالية. فهي تدرس اللغة الإنجليزية بالجامعات الأمريكية. وفضلا عن ذلك فإنها قد اشتهرت في بداياتها بترجمتها لكتاب الفيلسوف الفرنسي الجنسية واليهودي الجزائري الأصل جاك دريدا الذي يحمل عنوان "عن علم النحو" الصادر عام 1976 عن منشورات جامعة جونز هوبكنز. وتتصدر هذه الترجمة مقدمة غياتري سبيفاك الطويلة والقوية. ولهذه الناقدة المفكرة عدد من الكتب الهامة مثل "في عوالم أخرى: أبحاث في السياسة الثقافية"، و"نقد العقل مابعد الكولونيالي. ونظرا لقيمة وأهمية هذه المثقفة البارزة نترجم هذه المقابلة التي أجراها معها فيلسوفان بريطانيان وهما من الجيل الفلسفي المتفتح على الفلسفة الأوروبية–القارية، وعلى حقل الدراسات الثقافية، ونظرية الأدب، والتحليل النفسي خلافا للأجيال الفلسفية البريطانية التقليدية التي تتشبث بالوضعية المنطقية والتجريبية.

ففي هذه المقابلة تفتح غياتري سبيفاك ملفات الحركة النسوية، والفلسفة الماركسية، والفلسفة التفكيكية:

- سبق أن وصفت نفسك "كماركسية نسوية تفكيكية عملية"، فما هو نوع العلاقة التي ترينها بين هذه الجوانب المختلفة في عملك؟
- *إن الماركسية مشروع رؤية كيف يعمل "الرأسمال"، في حين أن "الحركة النسوية" تتصل بنظرية الفرد، وتطور الرجال والنساء كأفراد، وبالممارسات الإجتماعية في تعاملها مع تحديدات الإختلاف الجنسي. ليست النزعة "النسوية" منظمة ومجردة وتنظيرية مثل الماركسية، ولهذا يبدو أن مشروعي "النسوية" والماركسية من غيرالممكن التفكير فيهما على أنهما يعملان معا، رغم اتصال بعضهما البعض.

بالنسبة "للتفكيكية" فإنها في الواقع إسم لكيفية عمل هذين الشيئين، أو أي نوع من الشيء. إنها أقل جوهرية من هذين المشروعين.

إنها في الأغلب طريقة للنظر أكثر ما هي برنامج للعمل، إنها طريقة للنظر إلى الطريقة التي ننجز بها الأشياء. ولهذا، فإن طريقة النظر هذه تصبح هي ما تفعله بالذات.

- إذا من الممكن أن يكون المرء تفكيكيا محافظا؟
- *أنا أؤمن بذلك.
- هل تقولين بأنك بدأت بتعلم المنهجية النفكيكية، ومن ثم انتقلت إلى تطبيقها في مشاريع تطبيقية؟
- *لا أعتقد ذلك. من غرائب الأمور بخصوص التفكيكية أو "لأشياء التي يكتبها دريدا" أن الناس المأخوذين بها يقولون إلى حد ما: "إن هذا ما كنت بصدد التفكير فيه مسبقا". عندما قرأت لأول مرة كتاب جاك دريدا "عن علم النحو" أحسست أنني فهمت ما كان يقوله، وكان هذا بمثابة الطريقة الأفضل لوصف ما كنت أحاول فعله مسبقا. هل كنت مخطئة أم على صواب؟ لا أدري. أحسست لمدة من الزمن بغضب شديد جدا مع "التفكيكية"، وذلك بسبب أن جاك دريدا بدا غير ماركسي تماما، بل جنسيا أيضا. وقد حصل هذا معي بسبب أنني أردت أن تكون "التفكيكية" ما لم تكنه، أدركت قيمتها عن طريق أدراك حدودها، وعن طريق عدم الطلب منها أن تعمل لي كل شيء.

لم أعد أحس بأنه يجب علي أن أخرج وأهيم بحثا عنه في كل حقل. إنني لا أملك إلا قليلا من الصبر تجاه الناس المنغمسين عميقا على نحو أنهم لا يملكون أي شيء جوهري للتفكير فيه.

ومن جهة أخرى، لا أعتقد أنني الآن متأثرة به أكثر بكثير مما كنت من قبل عندما كنت غاضبة جدا من "التفكيكية" لكونها لم تكن كل شيء.

التدريب والانضباط في الفكر

- إن مقدمتك لكتاب جاك دريدا عن "علم النحو" كشفت عن سيطرتك المهنية الكاملة على الفلسفة، وعلى تاريخ الفلسفة، ولكنك تكررين القول بأنك ناقدة أدبية ولست فيلسوفة. ماذا يعني هذا؟

- *هذا يعني أنني آخذ الحدود الانضباطية الصارمة على محمل الجد بامتياز. إذا كنت تريد أن تنجز عملا تنظيميا داخليا فينبغي عليك أن تعترف بأن كل هذه السنوات من التدريب على الانضباط يصنع الاختلاف. أنت في حاجة إلى تصفية النظم الأخرى. يأتي طلبة الدراسات العليا في الفلسفة إلى قسمي ويقولون لي: "نحن لا نفهمك"، وهم يقصدون بذلك: "أنت لا توفرين لنا شرط الوضوح، ولذلك فإن عملك لا يساوي شيئا". إنه صعب عليهم، أولئك الذين تعلموا الملاحظة المغلقة الأبواب، والدوغماتية العديمة القيمة أن يفهموا مقاصدي. إنه يجب علينا ألا نستخف بالصعوبات.

هنالك الكثير من اللاشيء ما عدا (ism) الذي يلحق بالكلمات الذي مورس على جاك دريدا داخل الفلسفة بالولايات المتحدة الأمريكية. لا شيء إلا الصوفية، لا شيء إلا فتغنشتاين. أنا لا أقول بأنني ناقدة فقط، إنما أقول إنني ناقدة أدبية.

هل يملك المثقف صوتا حقيقيا؟

- يعتقد كثير من الناس أن النشاطات النظرية اليسارية في أمريكا قد ضيعت طريقها لبعض الوقت في السنوات العشرين الأخيرة، بحيث توقفت عن محاولة الوصول إلى القاعدة العريضة من الناس. وهكذا أصبحت تلك النشاطات نظما أكاديمية. ما هو رأيك في هذا التحليل.
- *هل كان ذلك قضية، أم أن "اليسار" قد ضيع طريقه؟ أم أن "اليمين" أصبح يعرف طريقه؟ يعتقد بعض الناس في أوروبا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي مستقبل المشروع الثقافي لأن نظام التعليم ثلاثي العناصر.هناك مؤسسات النخبة القليلة، حيث يمكن لهؤلاء أن يأتوا أو يذهبوا، وحيث يوجد الكثير من الأناقة الراديكالية. في الولايات المتحدة الأمريكية يوجد "يسار" سياسي عملي، ولكنه يملك في أحسن الأحوال صلة ضعيفة مع "اليسار الأكاديمي"، أي الجماعات الثقافية المنظمة بشكل تام. هنالك سؤال يطرح: في أي نوع من الدولة يملك المثقف أي صوت حقيقي فيما يتعلق بقضايا الدولة؟ في المناطق المستقلة حديثا من الاستعمار، تعتقد النخبة الوطنية البرجوازية أنها تسييسا. وفي الواقع فإن أفراد هذه النخبة يملكون صوتا قويا فيما يتصل ببناء الهوية الوطنية.
- تحدثت فيما سبق حول مشكلة التفكيكية، وإخفاقها في الاستجابة لشروط الوضوح التي يطلبها بعض الناس.

هل يعزلها ذلك عن النشاط السياسي العلمي ؟

- *لماذا نجد امتياز شروط الوضوح مؤسسة من طرف أقسام الفلسفة التحليلية؟ إنني عن هذا أتحدث. فالتفكيكية صالحة في الاتصال السياسي، وليس في التخطيط الواسع. إنها صالحة في الأوضاع التفكيكية، ولكنها ليست مفيدة كثيرا وعلى الإطلاق في السياسات الإنتخابية. إن التفكيكية تفعل بقوة كبيرة في سياسات الحركة النسوية المتنوعة، وفي مناصفة العنصرية. إنها يمكن أن تكون مفيدة في المجالات الواسعة من النشاطات السياسية الجماعية، خلافا للماركسية، أو الحركة النسوية. وهنا ينبغي للتفكيكية أن تفقد إسمها كما اقترحت في كلامي، في إحدى الندوات.
- تحدث جاك دريدا عن التفكيكية على أساس فكرة "المسؤولية تجاه أثر الآخر". بعض الناس يبحثون هنا (في بريطانيا) عن دور التفكيكية كنوع من النقد، لكن دريدا يؤكد بأن التفكيكية ليست شكلا من النقد. ماذا تفكرين في المحاولات المبذولة لفهم التفكيكية كشكل من النقد الأيديولوجي؟

- *إن المشكلة التي تكمن في فكرة التفكيكية كشكل من النقد الأيديولوجي هي أن التفكيكية في الحقيقة لا تهتم بكشف الخطأ. في بدايات كتابه "عن علم النحو" يبدو وكأن دريدا الشاب ذو "رأس ساخن" يكشف عن خطأ ليفي ستروس مبرزا أن أفراد قبيلة "تامبيكوراه" كانت لهم كتابتهم، لأن ثمة طرائق أخرى للكتابة تختلف عن طرائقنا. إن هذا يشبه قليلا ما قاله كارل ماركس بخصوص تفكيك أحجية النقود في الفصل الأول من كتابه "رأس المال": "إن النقود هي الأسلوب الملائم لقياس التكافؤات. نحن نتعامل مع التكافؤات عندما نستبدل أي شيء". ينصب اهتمام جاك دريدا حول كيف تبنى الحقيقة بدلا من الكشف عن الخطأ. إنه يمكن القول بأن النص موجه إلى قبيلة "تامبيكوراه"، بنفس الدرجة التي وجه إلى كلود ليفي ستروس.أن التفكيكية بمقدورها فقط أن تتحدث ضمن لغة الشيء الذي تنتقده.
- يقول جاك دريدا "أنها تسقط بشكل ما فريسة لنقدها عينه" وهذا ما يجعلها (أي التفكيكية مختلفة جدا عن النقد الأيديولوجي وحتى عن النقد الذاتي .
- * أن الحاصل هنا لشيء عظيم وذلك لأن التفكيكية يجب أن يفعل في الشيء المفكك ، ولكن لا يمكن أن يتم ذلك ببساطة كنتيجة لاتخاذ قرار بأن شيئا ما يجب أن يفعل في الشيء المفكك. أن التفكيكية تتحقق عندما تهزأ بنقدك الأيديولوجي.